مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد الخامس

1988م.

- المعارف اللازمة للداعية
- المحاولات الإستعمارية لتقويض الإسلام في الجزائر
- منهج الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي
- الفكر التربوي بين الأصالة والتغريب
- جامعة الزهراء جامعة علمية يخسرها العالم الإسلامي

المكتبات الوطنية العربية

ودورها في المحافظة على التراث العربي الاسلامي

الأستاذ
مفتاح محمد ذيب

مقدمة:

تعتبر وظيفة الحفاظ على التراث الثقافي والعلمي والحضاري للدول أحد أهم الوظائف التي تقوم بها المكتبات الوطنية والقومية. وفي الواقع أن هذه الوظيفة هي التي أدت إلى ظهور مفهوم «المكتبة الوطنية» للوجود كمؤسسة مهمتها الأولى والأساسية جمع وحفظ التراث الفكري والحضاري للأمم والشعوب ونقله للأجيال المتعاقبة لتقف تلك الأجيال على مدى مساهمة هذه الأمم والشعوب في تقدم الحضارة

الإنسانية. ومنذ أن عرف الوطن العربي المكتبات الوطنية في منتصف القرن التاسع عشر، أخذت هذه المكتبات على عاتقها المحافظة على التراث العربي الإسلامي الذي خلّفه أجدادنا الأوائل الذين قامت على أيديهم حضارة عربية إسلامية إنسانية لم يعرف العالم مثلها حتى هذا الوقت، بل إنه لولا ما قام به العرب والمسلمون إبّان حضارتهم الزاهرة وما قدموه من علوم ومعارف مختلفة، لما عرفت أوروبا حضارتها الحديثة ولما نَعِمَ العالم بالاكتشافات والاختراعات العلمية الحديثة التي زادت في تقوية الإيمان بالخالق الأعظم سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه الذي وسع كل شيء. وتقوم معظم المكتبات الوطنية العربية بتحقيق ونشر الآف المخطوطات في مختلف فروع العلم والمعرفة، وإعداد فهارس ووراقيات لهذه المخطوطات حتى تكون تحت تصرف الباحثين والعلماء، وتوضح لأجيالنا الحاضرة مساهمة الأجداد في الحضارة الإنسانية، لعلنا نعيد بناء حضارة عربية إسلامية حديثة.

دار الكتب القومية في مصر

تعتبر دار الكتب القومية المصرية من أول المكتبات الوطنية العربية حيث تم إنشاؤها عام 1870 ميلادية. وقد كانت للجهود التي بذلها السيد علي مبارك ناظر المعارف في عهد اسماعيل باشا أثرها الكبير في صدور الأمر الرسمي بإنشاء المكتبة. وبعد إنشائها أخذ علي مبارك في تنظيمها، وتم وضع قانون لها أعدته لجنة خاصة برئاسته.

وتعود قصة إنشاء دار الكتب المصرية إلى بداية النهضة الثقافية في مصر، خاصة بعد دخول المطبعة إلى البلاد المصرية. وتكاثرت الكتب المطبوعة حينما أخذت مصر على عاتقها إحياء التراث العربي والآداب العربية الإسلامية، بالإضافة إلى ما كان موجوداً من المكتبات وخزائن الكتب الأخرى في المساجد، والتي كان من بينها الكثير من المخطوطات القيمة والنادرة، بالإضافة إلى كتب الفقه والحديث والآداب التي بقيت من العصور الماضية، والتي كانت تحت إشراف المساجد وتابعة لديوان الأوقاف[1] وكان هناك الكثير من الكتب الأخرى

(1) جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية. ط 2. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1978، جـ 2، ص 461.

والمخطوطات في أماكن متفرقة في أنحاء البلاد المصرية استولى الأتراك ومن بعدهم المستعمرون الأوربيون والتجار على الكثير منها، بالإضافة إلى أنه كان الكثير من عامة الناس الذين لا يعرفون قيمة الكتب ولا يقدّرون العلم نتيجة لجهلهم وعدم معرفتهم القراءة والكتابة من الذين تولوا شؤون المساجد، فكانوا يبيعون الكتب التي تعرضت للتمزق والعطب والتفكك إلى الباعة والبقالين ليلفوا بها الخضروات والفواكه، فكانت بالتالي أحد النكبات التي ألّمت بالكتب والمكتبات هناك[2].

وبعد إنشاء دار الكتب المصرية، عمل علي مبارك على نقل ما كان في مستودع الكتب القديم، خصوصاً الكتب التي طبعت بالمطبعة الأهلية من كتب التراث العربي الإسلامي وغيرها ومجموعة كتب اشترتها الحكومة المصرية آنذاك من تركة حسن باشا المناستولى والتي كانت تحمل ختم «كتبخانة مصرية» يعود تاريخها إلى عام 282/ هجرية/ 865/ ميلادية، واحتوت على 2000 مجلد من الكتب المخطوطة بالعربية والفارسية والتركية، وبقية كتب المساجد التي أوقفها السلاطين وغيرهم من العلماء والشيوخ على المساجد المصرية، وهي الكتب التي نجت من سرقة الأتراك والأوروبيين الذين كانوا يحكمون مصر في ذلك الوقت[3]. وكان عمل علي مبارك بنقل هذه الثروة من الكتب والمخطوطات إلى دار الكتب صيانة لها من التلف والضياع. وفي عام 1876 تم إضافة جزء من مكتبة مصطفى فاضل باشا شقيق الخديوي اسماعيل، وكان محباً للكتب، له حرص شديد على اقتنائها، ومكتبته كانت تحتوي على عدد كبير من الكتب العربية النفيسة. وبعد وفاته اشترت الحكومة المصرية جزءاً من هذه المكتبة بثمن 13,000 جنيه وقدمتها هدية إلى دار الكتب. وكانت مجموعة مصطفى فاضل باشا تضم «طائفة من أفخر الكتب من كل فن عددها 3305 مجلدات، منها 2332 في العربية، و647 من التركية، و326 في الفارسية»[4]. كذلك أضيف إليها عدة مجموعات أخرى من الكتب من بينها مجموعة الشيخ الشنقيطي التي احتوت على أكثر من 700 كتاب

(2) نفس المصدر، ص 462.

(3) نفس المصدر.

(4) نفس المصدر.

من بينها عدد من المخطوطات والكتب النادرة. وقد بلغ عدد المجلدات في دار الكتب المصرية في عام 1914 حوالى 70,000 مجلد نصفها تقريباً بالعربية والباقي باللغات الأوروبية، و2500 مجلد باللغة التركية، وضمت حوالى 12,000 كتاب في العلوم الشرعية الإسلامية[5].

ولدار الكتب المصرية أربعة معارض للمجموعات النادرة بها هي:

1 ـ معرض الخزانة التيمورية: وتعرض به المخطوطات النادرة في هذه الخزانة.

2 ـ معرض أوراق البردى: ويعرض به لفائف البردى التي تهتم بتاريخ وحضارة مصر القديمة في عهد الفراعنة.

3 ـ المعرض الإيراني: ويعرض فيه المجموعات الفارسية الموجودة بدار الكتب.

4 ـ المعرض العام: ويعرض به المخطوطات العربية النادرة واللوحات الفنية والخطوط العربية والتحف الأثرية القيمة.

* * *

وقبل حلول عام 1970 وصل عدد محتويات دار الكتب المصرية إلى حوالى 700,000 مجلد من بينها 400,000 كتاب أجنبي، وتعتبر دار الكتب المصرية عن طريق ما تضمه من المخطوطات العربية والفارسية النادرة والنفيسة التي حفزت الكثير من الدارسين لتحقيقها وطبعها، ومجموعاتها النادرة من المصاحف الشريفة، واحده من أهم مكتبات العالم الغنية بمثل هذه الثروة[6].

* * *

وقد تغير اسم دار الكتب عدة مرات حتى انتهى إلى الاسم الذي تحمله اليوم وهو «دار الكتب القومية»، فقد كانت في بداية إنشائها تحمل اسم «المكتبة

---

(5) نفس المصدر.

(6) Mohammed M. Aman. «Libraries in the United Arab Republic». **Journal of Library History**, Vol. 4, No 2, April 1969, P. 158.

الخديوية»، ثم تغير في عهد الخديوي عباس الثاني إلى «دار الكتب الخديوية»، ثم عرفت بعد ذلك باسم «دار الكتب السلطانية»، وفي عهد فؤاد الأول أصبحت تعرف باسم «دار الكتب المصرية»، وهو الاسم الذي تغير إلى الاسم الحالي للمكتبة. ومنذ عام 1965، أخذت دار الكتب في مصر تصدر **النشرة المصرية للمطبوعات**، والتي تعتبر بمثابة الوراقية (الببليوغرافية) الوطنية المصرية، وتعتبر أيضاً سجلاً للمطبوعات التي تستلمها المكتبة تحت قانون الإيداع الذي صدر عام 1954. وكانت هذه النشرة تصدر فصلياً حتى عام 1970 حينما بدأت تصدر شهرياً مع تراكميات سنوية، وكل سنتين، وكل خمس سنوات[7]. وقد تغير اسم النشرة وأصبحت تعرف الآن باسم «نشرة الإيداع». ومن ملاحظة إعداد من هذه النشرة يتضح أنها عادت للصدور كل ثلاثة أشهر بدلاً من إصدارها شهرياً.

ويعمل بدار الكتب القومية في مصر أكثر من ألف شخص يحمل بعضهم ـ وهم عدد قليل ـ درجات علمية في علم المكتبات، في حين ترك المكتبيون المؤهلون من ذوي الخبرة العمل بها واتجهوا إلى العمل بدول الخليج العربي حيث الرواتب العالية وغيرها من الحوافز الأخرى في البلدان النفطية[8].

وقد قامت دار الكتب القومية بعدة أنشطة منها إصدارها لعدد من الفهارس المطبوعة لمجموعاتها النادرة مثل الفهارس الخاصة بأوراق البردى والمخطوطات التي تظهر تطور الكتابة والخط العربي، وفهارس النسخ الخطية للقرآن الكريم، وفهرس العملات العربية والشرقية القديمة الموجودة بالمكتبة، وغيرها من الأنشطة في مجال الفهارس والوراقيات، كما أنها تبنت استخدام الترقيم الدولي الموحد للكتب (ISBN) اعتباراً من سنة 1975. وقد انتقلت المكتبة إلى مقرها الحالي الواقع على الضفة الشرقية لنهر النيل عام 1970، وهذا المبنى يعتبر من المباني الحديثة والفخمة، وقد صمم ليتسع لحوالي خمسة ملايين مجلد.

وتحتوي دار الكتب القومية في الوقت الحاضر على أكثر من مليون ونصف

---

(7) Mohammed M. Aman. «Arab Countries». in **International Handbook of Contemprory Developments in Librarianship.** Edited by Miles M. Jackson. Westport, Connecticut: GreenWood Press, 1981, P, 120.

(8) نفس المصدر.

المليون مجلد من بينها حوالي 400,000 كتاب باللغات الأجنبية، وتضم 11 فرعاً من بينها مكتبة الفنون الجميلة، ومكتبة الإيداع القانوني، وتقدر كمية الكتب الموجودة بهذه الفروع بأكثر من ربع مليون مجلد[9].

وهناك عدد من المكتبات الملحقة بدار الكتب القومية من أهمها: الخزانة التيمورية، نسبة إلى صاحبها العلاّمة أحمد تيمور الذي قام بإعداد عدد من الفهارس لها بنفسه؛ ومكتبة الحسيني، لصاحبها السيد أحمد الحسيني وبها عدد من المخطوطات بلغ عدد مجلداتها حوالي 245 مجلد؛ ومكتبة خليل آغا، وقد بلغ عدد المخطوطات بها 108 مجلد؛ والمكتبة الزكية، التي كانت ملكاً لأحمد زكي باشا، وقد بلغ عدد المخطوطات بها حوالي 1482 مجلد؛ ومكتبة الشنقيطي، نسبة لصاحبها السيد محمد محمود بن أحمد بن التركيزي الشنقيطي، وكان عالماً لغوياً وأديباً وشاعراً من أهل شنقيط بموريتانيا؛ ومكتبة طلعت، وصاحبها هو أحمد طلعت باشا وهي مكتبة غنية بالمخطوطات النفيسة وكان بها حوالي 20,000 مخطوط، إلاّ أنها وزعت على عدد من المكتبات المصرية وتحصلت دار الكتب منها على حوالي 9549 مخطوط عربي و3000 مخطوط تركي وفارسي؛ ومكتبة قوله؛ ومكتبة محمد عبده؛ ومكتبة مكرم[10].

* * *

دار الكتب الظاهرية بدمشق ومكتبة الأسد الوطنية في سوريا

بتاريخ 26 يوليو 1982 صدر في سوريا «مرسوم تشريعي يقضي بإحداث مكتبة وطنية باسم مكتبة الأسد واعتبارها هيئة عامة ذات طابع إداري، مركزها مدينة دمشق وتخضع لإشراف وزير الثقافة والإرشاد القومي»[11] وقد تم افتتاح هذه المكتبة رسمياً في نهاية عام 1984 بدلاً من الموعد الذي كان محدداً لها وهو

---

(9) **The World of Learning 1983- 84. 33ed. London: Europa Publications Limited, 1983, P. 355.**

(10) عزت ياسين صالح. «دار الكتب المصرية والمكتبات الملحقة بها». **عالم الكتب**، مج 6، ع 3، سبتمبر 1985، ص 317 -334.

(11) سماء زكي المحاسن. «المكتبات ومراكز التوثيق في الجمهورية العربية السورية». **المجلة العربية للمعلومات**، مج 5، ع 1، 1984، ص 79.

أول مارس 1984. وقد تم تحديد مهام مكتبة الأسد في «توفير وسائل المعرفة من كتب، ومطبوعات ومختلف أوعية المعلومات وتجهيزاتها وتيسير الانتفاع بها والقيام بحفظ التراث الثقافي الوطني القومي وتسهيل الإفادة منه. هذا إلى جانب اقتناء مختلف أنواع المطبوعات وغيرها من أوعية المعلومات باللغة العربية واللغات الأجنبية ووضعها بين أيدي المطالعين. وأيضاً حفظ المخطوطات والوثائق ذات القيمة التاريخية أو القومية أو الثقافية وتصويرها»[12]. ومن مهامها أيضاً القيام بالدورات التدريبية لتأهيل العاملين بالمكتبات الأخرى والاتصال بالمكتبات الوطنية العربية والأجنبية وإنشاء علاقات معها في مجال خدمات الإعارة وتبادل المطبوعات والمعلومات.

وقبل إنشاء مكتبة الأسد الوطنية كمكتبة وطنية في سوريا، كانت هذه المهمة تقوم بها «دار الكتب الظاهرية» التي كانت بمثابة المكتبة الوطنية للجمهورية العربية السورية. وتعد دار الكتب الظاهرية من أكبر مكتبات سوريا.

يرجع تاريخ تأسيس المكتبة الظاهرية أو دار الكتب الظاهرية إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري حينما قام عدد من علماء دمشق بجمع المخطوطات المتفرقة في مكتبات دمشق الخاصة ومساجدها ودورها بعد أن أخذت الأيدي تعبث بها، حيث فقد بعضها وتسرب بعضها إلى خارج البلاد السورية، فقام هؤلاء العلماء ومن بينهم الشيخ سليم البخاري والشيخ طاهر الجزائري بحملة واسعة لانتشال ما تبقى من الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية القيمة والنفيسة. واستمر هؤلاء العلماء في عملهم حتى بلغ ما جمعوه حوالى 2453 مخطوط ومطبوع وأودعوها في خزانة داخل المدرسة الظاهرية[13]. وتذكر بعض المصادر أن هذه المجموعة من المخطوطات والمطبوعات كانت حصيلة عشر مكتبات كانت موجودة آنذاك بدمشق هي[14]:

---

(12) نفس المصدر.

(13) عادل زيادة. «دار الكتب الظاهرية بدمشق ودورها في الحضارة العربية الإسلامية». نهج الإسلام (دمشق) س 1، ع 18، ذي الحجة 1404 هـ/ سبتمبر 1984، ص 156.

(14) جرجي زيدان، ص 479.

1 ـ المكتبة العمرية، نسبة إلى الشيخ عمر القدسي المتوفى سنة 607 هجرية.

2 ـ مكتبة عبد الله باشا العظم وتم وقفها سنة 1211 هجرية.

3 ـ مكتبة سليمان باشا العظم وتم وقفها سنة 1196 هجرية.

4 ـ مكتبة ملا عثمان الكردي.

5 ـ مكتبة الخياطين، وقد وقفها الحاج أسعد باشا بعد سنة 1165 هجرية.

6 ـ المكتبة المرادية، نسبة إلى الشيخ مراد النقشبندى المتوفى سنة 1132 هجرية، وهو جد صاحب كتاب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر».

7 ـ مكتبة الشميساطية.

8 ـ مكتبة الياغوشيه.

9 ـ مكتبة الأوقاف، وقد جمعت من مكتبات متفرقة.

10 ـ مكتبة بيت الخطابة في الجامع الأموي.

* * *

وبعد ذلك بمدة من الزمن أصبحت المدرسة الظاهرية ـ نسبة إلى الملك الظاهر بيبرس الذي دفن بهذا المكان ـ مكتبة عامة وألحقت بدائرة الأوقاف الإسلامية بدمشق. وبعد فترة زمنية أخرى في عهد الحكومة العربية السورية، ألحقت هذه المكتبة بديوان المعارف وأصبح اسمها «دار الكتب العربية». وفي شهر مارس من عام 1919 وضعت المكتبة تحت إشراف المجمع العلمي العربي بدمشق وأسندت إليه مهام إدارتها والإشراف عليها من الناحية العلمية والإدارية والمالية[15].

وقد اهتم المجمع العلمي العربي بالمكتبة الظاهرية ـ دار الكتب العربية ـ وأخذ يمدها بالمخطوطات والمطبوعات والمعاجم والحوليات واستبدل فهارسها القديمة بفهارس جديدة حديثة. وفي عام 1967، أصدر المجمع نظاماً جديداً لدار

(15) عادل زيادة، ص 156.

الكتب العربية- يوضح سير العمل في المكتبة ومهام وصلاحيات العاملين بها وتم تغيير اسمها إلى «دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق»[16].

وتحتوي دار الكتب الظاهرية بدمشق على العديد من نفائس المخطوطات العربية الإسلامية التي تم نقلها من الأماكن السابق ذكرها. ومن أهم ما تحتويه المكتبة من نوادر الكتب المخطوطة ما يأتي[17]:

- «تاريخ دمشق»، لابن عساكر. ومنه نسختان إحداهما كاملة والثانية ينقصها الجزء الأول.

- «الضوء اللامع في تراجم أهل القرن التاسع». للسخاوى وعليه إجازة بخط المؤلف.

- «الكواكب السائرة في مناقب أعيان المائة العاشرة» لنجم الدين الغزى.

- الجزء العاشرة من «ذيل تاريخ بغداد».

- «طبقات الفقهاء الحنابلة» لابن الفراء.

- «شرح مقامات الحريري» للمطرزي.

- «سفر السعادة» للسخاوي..

* * *

وتضم دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق عدة أقسام منها قسم المخطوطات ويوجد به حوالي 13,000 مخطوط، أقدمها «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» الذي نسخ عام 866 هجرية، ولهذه المجموعة من المخطوطات فهارس موضوعية يقوم مجمع اللغة العربية بطبعها؛ وقسم المطبوعات الذي يحتوي على أكثر من 68,000 عنوان من الكتب في حوالي 80,000 مجلد باللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى؛ وقسم الدوريات ويوجد به ما يقرب من 40,000 دورية عربية وأجنبية بما فيها المجلات والجرائد؛ وقسم التصوير الذي يضم 2000 مصور

(16) نفس المصدر، ص 157.

(17) جرجي زيدان، ص 480.

(أشكال مصغرة) للمخطوطات الموجودة بالمكتبة[18]. وبالمكتبة ثلاث قاعات للمراجع والبحث والقراءة.

ومن بين فهارس المخطوطات الموضوعية الموجودة بدار الكتب الوطنية الظاهرية، الفهارس التالية[19]:

- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (تاريخ)، 1947.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) 1962.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الشعر) 1964.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الطب والصيدلة) 1969.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الحديث الشريف) 1970.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم الجغرافيا) 1970.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الفلسفة) 1970.
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم اللغة العربية، النحو) 1973.

* * *

الخزانة العامة للكتب والوثائق بالمغرب

يعود تاريخ إنشاء «الخزانة العامة للكتب والوثائق» بالرباط إلى عام 1919 عندما استقر رأي بعض الأساتذة بمعهد الدروس العليا المغربية آنذاك على أنه من الضروري والمهم إيجاد مكتبة تضم ما يحتاج إليه أساتذه المعهد المذكور من مراجع ومصادر المعرفة المختلفة التي تساهم وتساعدهم على القيام بأداء مهمتهم على أكمل وجه. وبعد عدد من المحاولات التي بذلت في هذا الشأن، استطاعت

(18) سماء زكي المحاسن، ص 80.

(19) M.Nidal Estanbbouli. «syria, Libraries in». **Encylopedia of Library and Informa-tion Science.** Vol.29, 1980, P. 421- 422.

مجموعة الأساتذة تأسيس خزانة ـ مكتبة ـ عام 1922 كانت نواتها الأولى عدد من الموسوعات والمصادر والمؤلفات التي تتناول أهم الدراسات والبحوث في القضايا الإسلامية والشؤون الافريقية عامة وقضايا المغرب العربي بصفة خاصة، وتعتبر هذه المجموعة من أهم المجموعات بالخزانة العامة[20]. وفي عام 1926 صدر ظهير (قانون) يقضي بأن تكون الخزانة العامة «مؤسسة عامة يغشاها كل أفراد الشعب، لها كيان قائم الذات يسمى (الخزانة العامة للكتب والوثائق) له الصلاحية في ممارسة شؤونه الإدارية والفنية بتسيير من مجلس إداري يضم عناصر حكومية مختلفة»[21]. وفي عام 1934 صدر ظهير آخر ينص على أن تكون المستندات الحكومية والوثائق والمخطوطات وما شابه ذلك في نطاق الاهتمام من طرف المسؤولين بالخزانةالعامة، وذلك عن طريق السعي في جمع تلك الأشياء وتنظيمها تنظيماً مكتبياً من أجل سهولة استخدامها من طرف القراء والاستفادة منها. وفي عام 1937 صدر ظهير آخر في شأن تأسيس قسم الإيداع القانوني بالخزانة العامة يلزم المطابع ودور النشر بالمغرب أن يودعوا بهذا القسم 4 نسخ من كل ما يطبع بالمغرب»[22].

وقد ساهمت الخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط في العديد من الأنشطة على كافة المستويات الثقافية في المغرب ابتداء من عام 1965، وكان من ضمن هذه الأنشطة ما يأتي[23]:

1 ـ تلقين القراء ـ على اختلاف مستوياتهم ـ كيفية استخدام الدراسة والبحث، وذلك بتغيير جذري في فهرس المواضيع، حيث أدخلت عليه طريقة جديدة هي الطريقة المعروفة دولياً بالتنظيم العشري.

2 ـ الإسهام في تعزيز المحاولات التي تبذلها الجهات الرسمية لإرساء قواعد التعريب بالبلاد، وذلك بتحقيق 85% من اعتمادات الخزانة كشراء كتب عربية

---

(20) **عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني 1961 -1971**. الرباط: وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مديرية النشاط الثقافي العام، 1971، ص 169.

(21) نفس المصدر.

(22) نفس المصدر.

(23) نفس المصدر، ص 170.

و15% لاقتناء كتب بلغات أخرى، وهو عكس ما كان عليه الحال قبل الاستقلال.

3 ـ إبداع أحدث الوسائل المكتبية لمساعدة القارىء فيما يود الحصول عليه من مواضيع في ظرف دقائق معدودة.

4 ـ تجهيز معمل التجليد بأحدث معدات التجليد.

5 ـ إحداث سلسلة جديدة لنشر الفهرسة المغربية (الببليوغرافية) وحذف السلسلة القديمة.

6 ـ تقوية الروابط الثقافية بين الخزانة العامة وبين المؤسسات العالمية والخزانات الوطنية بأقطار أخرى بإقامة تبادل بينها وبين هذه المؤسسات والخزانات (المكتبات).

* * *

وقد احتوت الخزانة العامة للكتب والوثائق منذ إنشائها على عدد من الأقسام منها[24]:

1 ـ قسم للوثائق وكانت أولى ودائعه سنة 1924 وثائق السكرتاريه العامة للحماية وضمنها عقد الحماية.

2 ـ قسم للمخطوطات وقد بلغ عدد مقتنياته 1500 مخطوط سنة 1930. وقد وضع أول الأمر تحت إشراف المستشرق ل. بروفنس L. Provence.

3 ـ قسم للمطبوعات وقد وصل رصيده في أوائل الأربيعنات كذلك إلى 30,000 مجلد.

أما محتويات الخزانة في الوقت الحاضر وفقاً لأحد التقديرات التي اعتمدت على السجل الجردي ـ سجلات الجرد ـ حيث لا توجد احصائيات دقيقة يعتمد عليها، فكانت حوالي 30,000 مخطوط 600,000، 5000 دورية، 2,300 مصغر فلمي،

(24) نزهة بلخياط. «المكتبة الوطنية اداة في خدمة البحث العلمي». الاعلامي (الرباط) س 1، ع 2، جمادي الثانية 1402 هـ ابريل 1982، ص 90.

و500 خريطة وصورة وختم[25].

وتصدر عن الخزانة العامة للكتب والوثائق **الببليوغرافية الوطنية المغربية، ودليل الدوريات المغربية: المجلات والصحف الجارية**، وكذلك **دليل الدوريات المحفوظة بالخزانة العامة**.

ويقوم بالعمل في الخزانة العامة للكتب والوثائق حوالي 70 شخصاً منهم أربعةفقط من المتخصصين في الخدمات المكتبية، وخمسة من العلماء بقسم المخطوطات، وثلاثة أشخاص حاصلين على درجات جامعية (ليسانس)، واثنان يحملان الثانوية العامة (البكالوريا) بقسم المطبوعات[26]. ومما لا شك فيه أن قلة العاملين المؤهلين في ميدان الخدمة المكتبية يؤثر على ما تقوم به المكتبة من أنشطة وخدمات للجمهور أو الباحثين وغيرهم من القراء. ويحتوي المبنى الحالي للخزانة على ثلاث قاعات للمطالعة «أحدها للأساتذة متوفرة على 12 مقعداً والثانية للقراء ولا يتعدى مقاعدها 48، أما الثالثة فخاصة بقسم المخطوطات وبها 15 مقعداً»[27]. وهذا يعني أن المكتبة تعاني ضيقاً كبيراً في المبنى الحالي الذي لم يعد يستوعب أي إضافات جديدة، خاصة وأن هذا المبنى يقع داخل حرم جامعة محمد الخامس، حيث يستخدم طلبة الجامعة الخزانة العامة بالإضافة إلى غيرهم من الباحثين والمثقفين والقراء بمدينة الرباط العاصمة وضواحيها.

* * *

المكتبة الوطنية في تونس

يعود تاريخ إنشاء المكتبة الوطنية في تونس إلى آواخر القرن الماضي حينما كانت تونس تحت حكم الاستعمار الفرنسي فقد تأسست كمكتبة عامة تحت اسم «المكتبة الفرنسية» في شهر مارس عام 1885 في أمر رسمي نشر بالجريدة الرسمية (الرائد الرسمي)[28]. وكانت تضم في بداية تأسيسها مجموعة من الوثائق المتعلقة

(25) نفس المصدر، ص 91.

(26) نفس المصدر، ص 95.

(27) نفس المصدر، ص 93.

(28) عبد العزيز عبيد. «دار الكتب الوطنية بين الأمس واليوم». **الحياة الثقافية** (تونس) ص 2، ع 7، مايو - يونيو 1976، ص 107.

بتاريخ فرنسا ومجموعة مهمة من مكتبة قنصل فرنسا بتونس آنذاك شارل تيسو، وكان له اهتمام بالغ بتاريخ الشمال الافريقي خاصة في العصور القديمة، وهكذا كانت النواة الأصلية لهذه المكتبة[29]. وكانت في بدايتها تتبع إدارة مديرية الآثار القديمة في تونس، وتقع في نفس المبنى، وفي عام 1891، أصبحت المكتبة تابعة لمصلحة التعليم التي كانت تحت إدارة شخص فرنسي اسمه «لويس ماشوال» الذي عمل على نقل المكتبة من مقرها السابق في مديرية الآثار القديمة إلى مقر آخر في شارع (نهج) اسبانيا، وعين لها مكتبياً ولجنة مشتريات. وكان من بين المقتنيات التي ضمتها المكتبة في ذلك الوقت مجموعة من أعمال وآثار الكاتب والأديب الفرنسي الكبير فيكتور هوغو، وأعمال بعض كتاب وأدباء القرن الثامن عشر، بالإضافة إلى مجموعة تتعلق بمجالات الزراعة (الفلاحة)[30].

وفي عام 1910، أصبح اسم المكتبة «المكتبة العمومية بتونس» بدلاً من الاسم السابق المكتبة الفرنسية، وانتقلت من مقرها القديم في شارع اسبانيا إلى موقع جديد بسوق العطارين قرب جامع الزيتونة العتيق، وهو المقر الذي شغرته حتى وقت قريب. وبعد حصول تونس على الاستقلال عام 1956، أصبحت تعرف باسم «دار الكتب الوطنية». وقد تولى الإشراف على إدارتها عدد من الأدباء والعلماء المرموقين منهم المرحوم حسن حسين عبد الوهاب والمرحوم عثمان الكعاك الذي عمل على أن تكون للمكتبة شخصيتها العربية الإسلامية من خلال تقوية مجموعاتها المقتناة.

وقد جاء في القرار الرسمي الصادر عام 1979، والقاضي بإعادة تنظيم المكتبة الوطنية، أن مهامها تتمثل في الآتي[31]:

1 ـ القيام بصيانة وحفظ التراث القومي من مخطوط ومطبوع أو مسجل بالتصوير الشمسي أو بالصوت الآلي أو غير ذلك.

2 ـ الاستجابة لما تحتاج إليه الإدارات العمومية ومؤسسات البحث

---

(29) نفس المصدر.

(30) نفس المصدر.

(31) **الرائد الرسمي** (الجريدة الرسمية) ع 51، 4 -7 /9 /1979.

والباحثون من المعلومات المتعلقة بالكتب.

3 ـ مد الباحثين وجمعيات العلماء بالمساعدة اللازمة لنشر أعمالهم وإذاعتها.

4 ـ القيام بالإعارة للمكتبات الأخرى والاستعارة منها داخل البلاد وخارجها وكذلك الاضطلاع على هذا الصعيد وبالنسبة إلى كامل البلدان بالخدمات المركزية الأساسية.

5 ـ تنظيم وتسيير جهاز لتبادل المؤلفات بين مكتبات البلاد وإبرام وتنفيذ اتفاقات تبادل المؤلفات مع المكتبات والمنظمات الأجنبية.

6 ـ القيام بأشغال تتعلق بالبحث والإرشاد في مجال المكتبات والتوثيق والأعلام [المعلومات] العلمي حتى يتم النهوض بالمعايير القومية في هذا الميدان.

7 ـ توفير خدمات في الاستشارة والربط والتوجيه في مادة الببليوغرافية [الوراقة] والتوثيق.

8 ـ الإسهام في رسكلة الكتبيين وفي رفع مستوى المهنة.

* * *

وتضم المكتبة الوطنية التونسية أكثر من 25,000 مخطوطة تم جمعها من عدد من المكتبات القديمة الموجودة بتونس ومن بعض المساجد والأماكن الأخرى في أنحاء البلاد. وكان من بين تلك المكتبات المكتبة العبدلية التي تأسست في القرن العاشر الميلادي على يد أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي، والتي عرفت بعد ذلك باسم المكتبة الصادقية؛ والمكتبة الأحمدية؛ والمكتبة الخلدونية؛ والمكتبة العتيقة بالقيروان؛ والمكتبة اللخمية بصفاقس. ومن بين هذا العدد الكبير من المخطوطات التي تحتفظ بها المكتبة، هناك حوالي 1000 مخطوطة هي حصيلة مخطوطات المكتبة الخاصة بالمرحوم حسن حسن عبد الوهاب التي أهداها إلى المكتبة الوطنية، وقد تم إعداد فهرس لمجموعة حسن حسن عبد الوهاب ليكون تحت تصرف الباحثين والدارسين[32].

وتشارك المكتبة الوطنية في العديد من الأنشطة الثقافية «بتنظيم معارض

(32) محمد الفريقي. «تحقيق عن دار الكتب الوطنية». الحياة الثقافية (تونس) س 2، ع 7، مايو ـ يونيو 1976، ص 103.

وثائقية بمناسبة الملتقيات العلمية والأدبية والفنية وتعد لها ببليوغرافيات خاصة في موضوعها مثل ملتقى الشابي بالجريد... وملتقى ابن عرفة بمدنين... وذكرى الطاهر حداد بتونس العاصمة، وملتقى الإمام المازري بالمنستير وغيرها»[33].

وتضم المكتبة الوطنية التونسية حالياً أكثر من 700,000 مجلد باللغة العربية وإحدى عشر لغة أجنبية، وحوالي 10,000 دورية[34].

* * *

المكتبة الوطنية في لبنان

كان أول من فكر في إيجاد مكتبة وطنية في لبنان هو فيليب دى طرازى، وكان باحثاً ووراقياً (ببلوغرافياً) لبنانياً معروفاً، وقد بدأت هذه الفكرة عنده عام 1885. وفي عام 1919 شجعت السلطات الفرنسية الحاكمة آنذاك هذه الفكرة. وفي عام 1921 تحولت مكتبة دى طرازى الخاصة إلى النواة الأولى للمكتبة الوطنية في لبنان. وتشغل الآن ثلاث طوابق في الجناح الغربي من مبنى البرلمان اللبناني. وقد أصبح فيليب دى طرازى أول مدير لهذه المكتبة حتى عام 1930. وكان من بين الذين عملوا بالمكتبة الوطنية كميل شمعون الذي أصبح رئيساً للجمهورية عام 1952[35]. وبالإضافة إلى وظيفتها كمكتبة وطنية للبنان، فإنها تقوم بوظيفة المكتبة العامة الأساسية لبيروت، على الرغم من أن المواد المكتبية بها غير قابلة للإعارة الخارجية. ومن بين المجموعات الهامة بالمكتبة الوطنية مجموعة تتعلق بتاريخ لبنان والأقطار العربية المجاورة، ومجموعة نادرة من المخطوطات العربية والفارسية بلغت أكثر من 2000 مخطوط[36].

وتحتوي المكتبة الوطنية اللبنانية حالياً على أكثر من 100,000 مجلد، و 2,500 مخطوط. وتعتبر المكتبة مركزاً للإيداع القانوني، ومركزاً لإيداع وثائق ومطبوعات الأمم المتحدة.

* * *

(33) نفس المصدر، ص 104.

(34) **The World of Learning**, P. 1129.

(35) Mohammed M. Aman. «Arab Countries», P. 131.

(36) Coline Steele. **Major Libraries of the World: A Selective Guide.** New York: R.R. Bowker, 1976, P. 260.

المكتبة الوطنية الجزائرية

تأسست المكتبة الوطنية الجزائرية في النصف الأول من القرن التاسع عشر من عام 1835، حينما كانت الجزائر تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي، وكانت مجموعاتها الأولى من الكتب والمخطوطات موزعة على عدد من المباني المتفرقة التي لم تصمم في الأساس كمباني مكتبات. وفي عام 1862، انتقلت المكتبة إلى مكان في قصر الداى (الحاكم) مصطفى باشا الذي منح أمين المكتبة في ذلك الوقت مساحة 32,000 قدم مربع من طوابق القصر في أحد الجهات. وكان القصر نموذجاً للزخرفة الهندسية المعمارية الجميلة. وقبل حلول منتصف القرن العشرين ونتيجة لازدياد مقتنيات المكتبة، أصبح مكانها في قصر الداى ضيقاً وغير ملائم لاحتواء مجموعات المكتبة المتنامية. ولأجل ذلك وفي 12 مايو 1958، انتقلت المكتبة إلى مبنى جديد وهو المبنى الذي لا تزال تشغره حتى هذا الوقت. وفي منتصف السبعينات وصل عدد ما احتوته المكتبة الوطنية الجزائرية حوالي 75,000 كتاب و3000 مخطوط وأكثر من ألف دورية جارية وحوالي 1775 بكرة من المصغرات الفيلمية[37]. وفي نهاية عام 1985 بلغ عدد ما احتوته هذه المكتبة 900,000 مجلد، منها 170,000 مجلد باللغة العربية، والباقي بلغات أجنبية تأتي اللغة الفرنسية في المرتبة الأولى منها. وتضم المكتبة عدة أقسام منها القسم الدولي ويضم 700,000 مجلد؛ والقسم العربي وبه 170,000 مجلد؛ والقسم المغربي ويضم المطبوعات التي تتناول المغرب العربي الكبير من جميع الجوانب ويعتبر من أهم الأقسام بالمكتبة، وقسم الدوريات العربية والأجنبية، وقسم التبادل؛ وقسم الإيداع القانوني، وأقسام المنشورات والتجليد والتصوير؛ بالإضافة إلى قسم الموسيقى الذي يضم حوالي 4000 شريط واسطوانة موسيقية جزائرية ومغربية وعربية عالمية، وحوالي 22,000 تأليف موسيقى[38]. أما قسم المخطوطات بالمكتبة فيحتوي حالياً على حوالي 9000 مخطوطة في 3800 مجلد، معظمها مخطوطات عربية، وعدد قليل منها باللغة الفارسية والتركية، ومن أقدم المخطوطات التي

---

(37) نفس المصدر، ص 2.

(38) «تقرير عن المكتبة الوطنية الجزائرية». أخبار التراث العربي (معهد المخطوطات العربية)، ع 21، سبتمبر ـ اكتوبر 1985، ص 11.

تمتلكها المكتبة جزء من القرآن الكريم مكتوب بخط مغربي ومنسوخ على رق غزال في القرن الخامس الهجري. وتتناول مجموعة المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية موضوعات مختلفة مثل القرآن الكريم والحديث والفقه وأصول الفقه، واللاهوت، والسياسة، والفلسفة، والمنطق، والحساب والهندسة وعلم الفلك والتقاويم، والتاريخ ـ خاصة تاريخ الجزائر وبلدان المغرب العربي وافريقيا ـ ؛ والطب، والأدب والنحو والشعر. وقد جمعت المكتبة هذا الرصيد الكبير من المخطوطات النفيسة «من خلال حث الناس على التخلي عما يملكونه منها عن طريق البيع أو الإهداء للمكتبة حيث تحظى بالصيانة، وتكون في متناول أيدي الباحثين»[39]. وبذلك ضمت إلى المكتبة الوطنية عدة مكتبات خاصة كان يملكها القضاة ورجال الدين وغيرهم، كذلك «اشترت المكتبة مجموعة من المخطوطات والمطبوعات من مكتبة الأمير عبد القادر في دمشق ومجموعة أخرى (عددها 40) كانت تملكها أسرة ابن رحال، من تاجر كتب في باريس»[40]. واشترت المكتبة أيضاً عدداً من المخطوطات الأخرى وعدداً من الكتب المطبوعة بالطباعة الحجرية تعود إلى القرن التاسع عشر من أوروبا، وتعود ملكية هذه المجموعة في الأصل لأسرة جزائرية كانت تعيش في تلمسان.

ومن أهم المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية ما يأتي[41]:

ـ شرح ابن رشد على أرجوزة ابن سينا في الطب، مكتوبة بخط مغربي متأخر متوسط الجودة.

ـ المسالك والممالك، لأبي عبيد البكرى، بخط مغربي من خطوط القرن العاشر الهجري.

ـ أزهار الأفكار في خواص جواهر الأحجار، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن محمد التيفاشي، بخط مشرقي.

ـ السيرة الذاتية للأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، كتب بعضها

---

(39) نفس المصدر.

(40) نفس المصدر.

(41) نفس المصدر، ص 12.

بخط الأمير نفسه، وبعضها بخطوط رفقائه في سجن «امبواز». وهي نسخة فريدة، وتتضمن شهادة الأمير بشأن الأحداث التي كانت خاتمة كفاحه المسلح. وقد صورت وزارة الثقافة الجزائرية هذا الكتاب بمناسبة مرور مائة عام على وفاة الأمير.

* * *

ومن المجموعات الخاصة والنادرة التي تضمها المجموعة الجزائرية، ومجموعة المكتبة الموسيقية التي كانت تابعة لجمعية الفنون الجميلة الجزائرية، والمجموعة الافريقية التي تتعلق بتاريخ وثقافة الشمال الافريقي وتضم بعض الوثائق النادرة والهامة يرجع تاريخها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر[42].

وتقوم المكتبة بنشر عدد من المخطوطات التي يتم تحقيقها بين الحين والآخر، كما تقوم أيضاً بإصدار الوراقية (الببليوغرافية) الجزائرية وبعض الفهارس لمجموعاتها المختلفة. وتعتبر المكتبة الوطنية الجزائرية من أقدم المكتبات الوطنية العربية.

* * *

دار الكتب القطرية

تأسست دار الكتب القطرية (المكتبة الوطنية لدولة قطر) عام 1962 نتيجة ادماج مكتبتين كبيرتين هما مكتبة المعارف التي انشئت عام 1954 والمكتبة العامة التي تأسست عام 1956. وفي نهاية السبعينات بلغ عدد مقتنيات المكتبة أكثر من 40,000 مجلد وعدد كبير من المخطوطات العربية القديمة، بالإضافة إلى عدد كبير من الصحف والدوريات المختلفة العربية والأجنبية. وتضم دار الكتب القطرية عدداً من الأقسام الإدارية والفنية من بينها:

1 ـ قسم التزويد.
2 ـ قسم الفهارس (الفهرسة).
3 ـ قسم الإعارة.

---

(42) Coline Steele, P. 2.

4 - قسم المراجع والوراقة (الببليوغرافيا).

وتقوم وزارة التربية والتعليم في دولة قطر بالإشراف على دار الكتب القطرية.

* * *

خاتمة

وبسبب عدم تمكننا من الحصول على المعلومات الكافية عن المكتبات الوطنية للبلدان العربية غير المذكورة في هذه الدراسة، فإننا نأمل في المستقبل أن نغطي هذه البلدان، حيث سنحاول بكل الطرق الممكنة الحصول على المعلومات والبيانات المتعلقة بالمكتبات الوطنية وخدماتها، ودور هذه المكتبات في الحياة الثقافية والعلمية للمجتمع العربي في تلك البلدان. كما يجدر الإشارة إلى أن بعض البلدان العربية لم تقم بعد بإنشاء مكتباتها الوطنية مما يجعل الحياة الثقافية والعلمية فيها تفتقر إلى أهم المؤسسات العلمية والثقافية وأحد أهم عناصر النظام الوطني للمعلومات، كما أن بعضها الآخر يسند وظائف ومهام المكتبة الوطنية بها إلى مكتبات أخرى مثل الأردن والسودان والكويت، حيث تقوم مكتبة الجامعة الأردنية بوظيفة المكتبة الوطنية للأردن، ومكتبة جامعة أم درمان الإسلامية التي تقوم بمهام المكتبة الوطنية للسودان، ومركز التراث القومي بجامعة الكويت، الذي يقوم بجمع وحفظ ماله علاقة بالحياة الفكرية والعلمية والثقافية من مخطوطات ومطبوعات مختلفة في الكويت. وحيث أن لهذه المكتبات وظائف أساسية هامة تتمثل في توفير المعلومات والتسهيلات المكتبية لمجتمع الجامعات من طلاب وأعضاء هيئات تدريس وباحثين، فإن جزءاً كبيراً من جهود العاملين ستبذل للقيام بهذه المهمة، وبالتالي فإن قضية الحفاظ على التراث الوطني للبلد وبقية الوظائف الأخرى للمكتبات الوطنية لن تكون بالمستوى المطلوب والوجه الصحيح.

والواقع أن هناك شعوراً بأهمية وجود المكتبة الوطنية في البلدان التي تفتقر إلى مثل هذه المكتبة، وهذا يتمثل بوضوح فيما قامت به هذه البلدان في الآونه الأخيرة من تشكيل لجان خاصة لدراسة مشاريع إقامة أو تطوير المكتبات الوطنية

فيها مثل دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

إن وجود مكتبة وطنية في كل بلد عربي أمر مهم من أجل أن نتمكن من الحفاظ على تراثنا الفكري والحضاري الذي خلفه لنا أجدادنا عبر العصور لننقله لأجيالنا القادمة مع ما نضيفه عليه من فكر وعلم وثقافة وحضارة في الوقت الحاضر. ثم يبقى بعد ذلك شيء مهم لعله من أهم الأمور فيما يتعلق بترسيخ قضية المحافظة على تراثنا المخطوط والمطبوع والمسجل... وغيره، وهو إنشاء «المكتبة المركزية القومية» للأمة العربية التي ستكون صرحاً حيوياً في حفظ تراث العرب الماضي والحاضر والمستقبل، وعسى ذلك أن يكون قريباً.

* * *